

***Šamt al-iħtijāj: al-ħaraka al-Dighūliyya wamuzāharāt
nuwanbir 1944 bial-Maghrib***

The Silence of the Protest:
The Gaullist Movement and the Protests of November 1944 in
Morocco

صمت الاحتجاج: الحركة الديكولية ومظاهرات نونبر 1944 بالمغرب

الجيلالي العدناني

جامعة محمد الخامس، بالرباط

Abstract: This paper explores the issue of Moroccan women's struggle for independence that was suppressed by the French colonial authorities and disregarded by both Moroccan and foreign historians. The colonizers attempted to separate between the Moroccan political parties and the king by pretending to initiate themselves social, economic and political reforms in the country. At the end of WW2, France had to face the alliance of European and Moroccan women who protested throughout the month of November 1944 to demand their rights. What were then the forms and results of this protest movement? This article tackles this type of query in order to shed light on the reasons behind the silence that surrounded the massive women's protests in Moroccan cities starting from Casablanca on 10 November 1944. These protests continued for twenty days and their repercussions continued until December 10 of the same year. How were the voices of tens of thousands of women protesters turned into silence and were revealed only in the secret political reports that circulated among the Resident-General Gabriel Paux and three other generals: General Georges Catroux, the commander of North African military forces, his assistant Georges Spillman and General de Gaulle?

Keywords: Women movement, Protectorate, War World II, supplying, Casablanca demonstrations, Général De Gaule.

مقدمة

ظل الحديث عن الحركة النسائية بالمغرب خلال عهد الحماية حبيسا لما أمّلته الحقبة الاستعمارية من خصوصيات وتناقضات. وبالرغم من ترويج الصحافة المغربية للحديث عن ارتداء نساء البلاد للحجاب بوصفه لباسا تقليديا للمرأة المغربية، وكذا الصورة التي تناقلتها الجرائد على أبعاد نطاق للأميرة لالة عائشة سنة 1942 وهي تلبس الزي الأوروبي،

إلا أنه لا يمكننا الحديث عن حركة نسائية قائمة الذات.¹ كما أن الفرنسيين المقيمين بالمغرب كانوا يعيشون صراعا بين الأجيال، حيث وجهت الانتقادات للفتيات والنساء اللاتي اتخذن لباسا غير محتشم وقصير ويضعن أحمر الشفاه بطريقة مثيرة ويخرجن للشارع بشعر متموج وفاضح، ثم يركبن الدراجات الهوائية دون أدنى خوف مما يمكن أن تكشف عنه الرياح من محاسنها أو عوراتهن.² ولعل الحديث عن أوضاع النساء يجيل، وبشكل مباشر، على أوضاع الرجال والمجتمع برمته. ثم إن النساء لم يكنّ منضويات تحت لواء حركة أو انتماء سياسي أو ثقافي واحد، ومع ذلك، لا بد من أخذ التفاوت بين درجات الوعي السياسي والحقوقى للحركة النسائية بعين الاعتبار. فما هي درجات الوعي لدى النساء المسلمات والأوروبيات بتعبير المرحلة؟ ثم ما هي درجة الاختلاف بين الفرنسيات والاسبانيات والمغربيات ضمن الحركة النسائية، وما هو حجم المشاركة والتأثير فيها؟

لقد اهتمت العديد من الباحثات المغربيات والأجنبيات بالبحث والكتابة في موضوع الحركة النسائية بشكل عام، غير أن معظم هذه الدراسات لم تتناول بطريقة مستقلة موضوع احتجاجات نونبر 1944 التي شهدتها مدينة الدار البيضاء، وباقي أهم المدن المغربية، على امتداد ما يزيد عن الشهر. ولم تتجاوز الإشارات إلى هذا الحدث بضعة أسطر حول تاريخه أو نسبة المشاركة فيه. ويمكن أن يعزى هذا الأمر إما إلى قلة الأرشيف الموجود في المغرب أو إلى عسر الوصول إليه في مراكز الأرشيف في كل من نانط (Nantes) ولاكورنوفا (la Courneuve) بفرنسا. كما ترتب عن حداثة الإفراج عنه لوضعه رهن إشارة الدارسين، وكذا عن طرق تصنيفه وتبويبه ووقوع تأخير في إمكان الوصول إليه. ويمكن القول بأن طول مدة إقامتي بفرنسا وارتيادي المستمر لهذه المراكز يسر اطلاعي عليه وإخراجه للوجود من خلال هذا العمل. وعليه، فإن معظم الأبحاث خاصة المغربية منها قد اتجهت نحو العمل السياسي للمرأة في ظل الحركة الوطنية أو من خلال كتابة سيرهن وتعداد أعمالهن و"مناقبهن".³ وفي سياق مغاير، اتجهت الكتابات الأوروبية نحو فهم ظاهرة أو جدلية الخضوع والتحرر، ومنها ما اهتم بظاهرة الانحراف أو الاستغلال الجنسي في

1. Amina Ibraï-Aouchar, "La presse marocaine d'opposition au Protectorat (1933-1956)," (Thèse de 3^{ème} Cycle, Université Toulouse-Le Mirail, 1979), 210-64.

انظر أيضا ثريا السعودي، "أوضاع الحركة النسائية بالمغرب"، (رسالة دكتوراه، تكوين تاريخ الزمن الراهن، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2017).

2. F. Taillard, *Le nationalisme marocain* (Paris: Les éditions du cerf, 1947), 163.

3. انظر على سبيل المثال لا الحصر: عبد الحق المريني، الشهيدة ثريا الشاوي، أول طيارة بالمغرب الكبير (الدار البيضاء: النجاح الجديدة، ط. 2، 2009)، "المرأة المغربية في ملحمة الاستقلال والوحدة"، منشورات مندوبية المقاومة وأعضاء جيش التحرير، (سلا: مطبعة بني يزناسن، 2002-2009).

زمن الحماية، وكذا ما يخص صورة المرأة المغربية أو المسلمة بشكل عام.⁴ كما توجهت العديد من الدراسات إلى مرحلة ما بعد الاستقلال والتي تحف معها الحاجة إلى الأرشيف على أساس أن البحث الميداني بإمكانه أن يقدم الإجابات الضرورية والممكنة بخصوص تاريخ المرأة المغربية أو الحركة النسائية بشكل عام. وسنحاول في هذا العمل تناول موضوع الحركة النسائية المغربية من خلال أرشيف نادر وقليل من حيث كميته، إذ لا يتعدى عدد أوراقه الثلاثين صفحة ضمن مواد كثيرة تتعلق بملف عن أحداث سنتي 1944 و 1955.⁵

ما يمكن قوله في هذا السياق، هو أن الكتابة في مواضيع الحركة النسائية لم تحتط كثيرا من الكتابة التاريخية الوطنية كما أنها انطلقت من عتبة الدفاع عن المهتمين، ومن لا صوت لهم كما في أعمال فاطمة المريني و فاطمة الزهراء ازرويل ولطفة البوحسيني ولطفة الجبابدي وأسماء بنعدادة و حليلة بنكرعي.⁶ فهل شكلت الوصاية الشيوعية وكذا التأطير النقابي الفرنسي حاجزا أمام كل محاولة لاستجلاء هوية نسائية مغربية، خاصة حين تكون المرأة المغربية ضمن جموع نسائية أوروبية وشمال إفريقية، مسلمة أو مسيحية؟ سننطلق في هذه الدراسة من رؤية موسعة منفتحة على كافة الأطراف، وفي ظل الظروف والتطورات الوطنية والدولية التي أسهمت في اندلاع احتجاجات شهر نونبر من سنة 1944 أو وجهتها. وفي الأخير، سنحاول فهم أوجه التنافر بين سنة 1944 التي سميت بعام البون وصارت حدثا يؤرخ به في الكتابة باعتبارها السنة التي وشمّت الذاكرة الشعبية باحتجاجاتها والتي طالها التهميش والنسيان.

الأوضاع العامة بالمغرب: الوضعية السياسية والحركة النسائية

إذا كانت السنوات الممتدة ما بين 1900 و 1930 تشكل مرحلة من الكفاح المسلح ضد المستعمر الفرنسي والإسباني، فإن الحقبة التي تلتها قد طبعها الانتقال إلى العمل السياسي والنقابي، خاصة بعد تشكل الأنوية الأولى للجمعيات الثقافية والأحزاب الوطنية فيما بين 1924 و 1937. ذلك أن الاحتجاجات التي تلت إصدار ما يعرف بالظهير البربري في 16

4. من بين الأعمال التي تناولت الموضوع، يمكن الإشارة إلى ما يلي: جوهرة فيلاي بابا وكذا مليكة الفاسي، "الحركة الوطنية والمرأة"، ضمن منشورات مندوبية المقاومة وأعضاء جيش التحرير، (2005)؛ أليير عياش، الاستعمار الفرنسي، حصيلة السيطرة الفرنسية، ترجمة عبد القادر الشاوي و نور الدين سعودي، (كلمات، 1985)؛ محمد معروف الدفالي، "أخوات الصفا تنظيم نسائي رائد في تاريخ الحركة الوطنية"، مجلة أمل، عدد مزدوج 14/13 (1998): 178-92؛ لطيفة اجبابدي، "الحركة النسائية المغربية"، جريدة 8 مارس، عدد 16 (1985).

5. Archives La Courneuve, "Maroc 1944-1955," Carton 73.

6. Assia Benadada, "L'enseignement des femmes à l'époque coloniale: Intégration ou exclusion," in *Histoire des femmes au Maghreb: Réponses à l'exclusion: Colloques et Séminaires n° 4*, (Kenitra: Faculté des Lettres, Année (eds.), 1999), 197-231; Christelle Taraud, *Amour interdit, marginalité, prostitution, colonialisme au Maghreb, 1830-1962* (Paris: Payot, 2012).

ماي 1930، أعطت شحنة قوية للعمل السياسي، مما أفضى إلى ظهور الجمعيات النسائية وتنامي أدوار المرأة المغربية بشكل عام. وأعطت السياسة الأهلية الرامية إلى اقتحام المجتمع المغربي، خاصة انطلاقاً من سلا وفاس، بواسطة السياسة التعليمية وخلق مدارس خاصة بالفتيات التي ستمكن السلطات الفرنسية من اختراق المجتمع ومن ربط علاقات بالآباء الذين رفضوا في البداية تعليم أبنائهم في المدارس التي تشرف عليها سلطات الحماية. وقد أعلن المستعمر عن تصنيفه للمجتمعين السلاوي والفاصي في عداد المحافظين، وعن وجوب تشكيلهما أولى المدن التي تقرر أن تفتح فيها مدارس خاصة بالفتيات المسلمات من أبناء الأعيان. غير أن هذه السياسة كان مآلها الفشل إلى حدود سنة 1926، ولم تنجح إلا بعد أن تم الاهتمام بمدرسة الرباط التي حققت نجاحات كبيرة جعلت أعيان المدن الأخرى يوافقون على إرسال بناتهم إلى المدارس.⁷ ونهجت السياسة الفرنسية خطة ذكية استندت على إقناع الآباء بأن القصد هو تربية البنات وتعليمهن اللغات (عربية وفرنسية) وكذا توعيتهن بأمر البيت والأزواج، وخاصة من ناحية النظافة والقيام بالأعمال المنزلية (خاصة الخياطة). وإذا كانت المرأة المغربية ستشارك في أعمال العمل المسلح والمقاومة في المرحلة السابقة لسنة 1950 أو اللاحقة لها، فإنها ستنخرط في العمل السياسي والنقابي الذي كانت تؤطره نقابات فرنسية إلى غاية سنة 1955، أي تاريخ تأسيس أول نقابة مغربية وهي الاتحاد المغربي للشغل.

لقد ظلت المرأة المغربية رهينة الحزب أو الجمعيات إلى حدود سنة 1946، وهو تاريخ تأسيس جمعية أخوات الصفا، أي بعد سنتين من الأحداث والمظاهرات النسائية موضوع الدراسة. الأمر الذي يعني أن الحركة النسائية بقيت إلى حدود سنة 1944 حبيسة دورها في المقاومة المسلحة، وكذلك الدور الذي لعبته على مستوى الملف الحقوقي والاجتماعي كما هو شأن احتجاجات نونبر من سنة 1944. فهل ساهمت المدارس الخاصة بالفتيات في إعداد فئة الخدمة المنزلية التي يتعدى عددها في مدينة الدار البيضاء وحدها 15 ألف خادمة منزلية؟ أم أن الفتيات المتعلّمات كن يتزوجن ضمن فئة البورجوازية الناشئة، والتي بدأت تتخذ من المتعلّمات أزواجاً، كما تقول الدعاية الاستعمارية الفرنسية؟⁸

الحزب الشيوعي ومرافعته عن حقوق المرأة المغربية

تتفق مضامين الأرشيف، وكذلك الدراسات التي أنتجت في الموضوع، بأن سنوات الأربعينات من القرن الماضي شهدت تحالفاً بين مصالح العاملات من النساء الأوروبيات

7. Tsourikoff Zénaide, "L'enseignement des filles en Afrique du Nord," (Thèse de Doctorat, Université de Paris, Faculté de Droit, 1935). URL: <https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bpt6k9803699w.r>.

8. Tsourikoff, "L'enseignement des filles," 1.

والمغربيات على حد سواء. كما أكدت على الدور الذي لعبه الحزب الشيوعي ونقابته "الكونفدرالية الديمقراطية للشغل"، في الدفاع عن حقوق النساء المغربيات اللائي شكلن نسبة مهمة من اليد العاملة، خاصة في مجال الأعمال المنزلية ومعامل التصوير والغزل ومخازن الحبوب⁹. وقد عمل التنظيم النسائي، "اتحاد نساء المغرب"، على تأطير الاحتجاجات التي هزت مدينة الدار البيضاء قبل أن تنتقل إلى معظم المدن المغربية في نونبر من سنة 1944، كرد فعل على تزايد الضغوطات الاجتماعية والاقتصادية التي عانى منها المجتمع المغربي. وإذا كان الانجذاب نحو العمل النقابي هزيلا من قبل المرأة المغربية، فإن سنة 1944 ستشكل تحولا هاما قبيل انطلاق مظاهرات الدار البيضاء في 10 نونبر 1944 وبعدها¹⁰ وقد كانت ظروف العمل والتمييز في الأجور إضافة للنقص في التموين بسبب ظروف الحرب العالمية، سببا مباشرا في تحالف النساء المغربيات والأوربيات قبل انطلاق المظاهرات وأثناءها. وشكلت هذه المظاهرات بداية لمسلسل الاحتجاج الذي استمر خلال السنوات الممتدة ما بين 1944 و1952. وإذا كان "اتحاد نساء المغرب" التنظيم النسائي الوحيد الذي لم يخضع للتنظيمات السياسية المعروفة، وخاصة حزب الاستقلال الذي تأسس سنة 1944 أو حزب الشورى والاستقلال، وكذا أحزاب المنطقة الخليفة الخاضعة للاحتلال الاسباني، فإن معظم النساء كن يناضلن ضمن أحزاب الحركة الوطنية على اعتبار الأولوية التي كانت تعطى للوطن وللمشروع السياسي التحرري¹¹. كما أن المرأة المغربية لم يكن يسمع صوتها إلا من خلال كتابات مليكة الفاسي في مجلة المغرب بداية من سنة 1935، أو جريدة الرأي العام لسان حزب الشورى والاستقلال الذي تزعمه محمد بن الحسن الوزاني، بداية من سنة 1946، أو جريدة العلم التابعة لحزب الاستقلال بزعامه علال الفاسي، بداية من سنة 1947¹².

على هامش "المعارك الرجولية": معركة النساء في ظل ظروف الحرب

مباشرة بعد تحالف أحزاب الحركة الوطنية والسلطان محمد بن يوسف الذي وافق على مطالب الحركة الوطنية، وخاصة مضامين وثيقة المطالبة بالاستقلال المرفوعة في 11 يناير 1944، حاولت سلطات الحماية الفرنسية فك الارتباط بين الأحزاب والقصر عبر التمويه بنهجها لسياسة الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. ولكن نفس السلطات كانت محكومة، في ظل الحرب العالمية الثانية، بمواجهة خطر داخلي آخر يتمثل في تحالف

9. انظر سعاد زبيطة، "المرأة المغاربية زمن الاستعمار: الموروثات والمتغيرات"، (رسالة جامعية لنيل درجة الدكتوراه، جامعة ابن طفيل، 2018)، تحت إشراف محمد حبيدة، 171؛ 403.

10. نفسه، 171.

11. نفسه، 172.

12. نفسه، 174.

العنصر النسوي الأوروبي والمغربي الذي احتج طيلة شهر نونبر 1944 لأجل تحقيق العديد من المطالب. فما هي أشكال ونتائج هذه الحركة الاحتجاجية؟

إذا كانت هذه المقالة تأخذ بعين الاعتبار مثل هذا النوع من التساؤلات، فإنها تهدف بالخصوص إلى الإجابة عن سؤال مباشر يخص أسباب الصمت الذي أحاط باحتجاجات نسائية حاشدة عرفتها مدن المغرب، فكان منطلقها مدينة الدار البيضاء في 10 نونبر من سنة 1944، وهي احتجاجات استمرت عشرين يوما بالرغم من أن تداعياتها تواصلت إلى العاشر من دجنبر من السنة نفسها. فكيف تحولت أصوات مسيرات ضمت عشرات الآلاف من المحتجات المطالبات بالمساعدات الغذائية الأساسية مثل السكر والحليب، إلى صمت رهيب وغير مفهوم، أو اتخذت شكل تقارير سياسية سرية اقتصر الأمر على تداولها بين المقيم العام غابرييل بيو (Gabriel Puaux) وثلاثة جنرالات؛ هم الجنرال جورج كاترو (Georges Catroux)، قائد القوات العسكرية بشمال إفريقيا، ومساعدته جورج سبيلمان (Georges Spillmann) والجنرال شارل ديغول (Charles de Gaulle)؟¹³ كيف يمكن الحديث أو التحفظ عن مظاهرات انطلقت يوما واحدا قبل تخليد ذكرى شهداء الحرب التي تم إحيائها في 11 نونبر من سنة 1944؟

لماذا لم يتم الحديث عن احتجاجات النساء، خاصة في الصحافة الرسمية؟ هل يمكن اعتبار الأصوات النسائية عارا يمس العمل الرجولي المسجد في مقاومة الزعيمين الجنرالين كاترو وديغول؟ أم أن ظروف مرحلة استعادة باريس من القوات النازية هي التي أملت كتم صوت النساء المحتجات؟ وأخيرا، ألم تكن تلك الاحتجاجات مجرد مناورة تم حبكها دون تنسيق، من قبل كل من الحزب الشيوعي، والمخابرات الأمريكية التي وجهت لها تقارير فرنسية تهم التدخل المباشر في إبطاء أو تأخير عملية التموين خاصة لمادة السكر.

صدى الاحتجاجات وسكوت (تحفظ) المصادر

ظل الغذاء دوما وسيلة، وفي الوقت نفسه، سببا للاحتجاج والنضال السياسي. بل إن الغذاء والزروع قد تصبح أهدافا للردع وصد الثورات والاحتجاجات. ولعل خروج ما يزيد عن أربعين ألف امرأة في مدينة الدار البيضاء وحدها يوم 10 نونبر من سنة 1944،¹⁴ للاحتجاج على التوزيع غير العادل للمواد الغذائية، والتعبير عن الغضب نتيجة للنقص

13. زعيم المقاومة وصاحب الخطاب التاريخي بلندن 18 يونيو 1940 الذي أعلن فيه سقوط شرعية حكومة المارشال بيتان وبداية العمل المسلح في مواجهة الاحتلال النازي.

14. Lettre du général Puaux au Général Catroux, Rabat le 10 novembre 1944, et aussi une autre lettre datée de 26 novembre 1944. Archives des Affaires étrangères de La Courneuve, Maroc, 1944-1955, Carton 73.

الحاصل في بعض المواد الأساسية خاصة الحليب والسكر، لا يمكن أن يفهم إلا في سياقات الوضع الداخلي المشحون الذي أملته ظروف الحرب العالمية الثانية. لقد كشفت جبهة الحرب التي كانت تشكو من نقص مهول في المواد الضرورية، واللوجيستيك المرتبط بذلك، عن حالة الوضع الجيد للمستعمرات مقارنة بالمتروبول. والسؤال الواجب طرحه هو لماذا جاء النقص الحاد في المواد الضرورية موازيا للنقص المهول في التغطية الإعلامية والتوثيق والأرشفة؟

وتتيح قراءة الصحافة المغربية منها أو الفرنسية أو الأمريكية، إمكان الوقوف على قصاصات ملخصة جدا وشحيحة حول الحدث الذي استمر طيلة شهر نونبر من سنة 1944، علما أن الاحتجاجات لم تتوقف إلا في أواخر هذا الشهر من السنة نفسها، بل إنها انتقلت إلى مختلف المدن المغربية مثل الرباط ومراكش وتازة ومكناس والقنيطرة وفاس وآسفي ووجدة. كما أن منع الصحافة المغربية المعارضة، من الصدور فيما بين يناير 1944 - تاريخ تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال - ويونيو من سنة 1946، لم يوفر الخدمة المناسبة للإعلام لتمكينه من تغطية وقائع الاحتجاجات النسائية. وتجدر الإشارة إلى أن الحزب الشيوعي، المتهم الرئيس في هذه الأحداث، كان يعيش مرحلة المغربية؛ بل إنه كان أيضا ضمن المطالبين بالاستقلال منذ بداية سنة 1943.¹⁵ وهذا ما يؤكد أن الروايات الشحيحة التي أصدرتها الصحافة الرسمية، مثل لافيحي ولوبوتي ماروكان، كانت منحازة وتقوم بتعتيم إعلامي كبير، في الوقت الذي منعت فيه الصحافة المعارضة وسجنت خلاله أغلب الزعامات السياسية من أمثال؛ علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني والمهدي بن بركة وعبد الرحيم بوعبيد. غير أن هذا الأمر لا يستثني قصاصة لوكالة أسوسياتد بريس التي نقلت يوم 14 نونبر خبر الاحتجاجات النسائية وركزت على مسألة تفويض السلطة بمدينة الدار البيضاء للعسكر من لدن المقيم العام بيو. ومن المعلوم أن الأمر يتعلق بوكالة قوية تبث من الولايات المتحدة الأمريكية لكل بقاع العالم.

الظروف العامة للمظاهرات وسياقاتها الخاصة

كيف تم إفراغ الحدث من مضمونه ليتحول معه الصراخ والتنديد إلى صمت؟ ولماذا حاولت حركة تحريرية من حجم الحركة الديگولية إسكات أصوات نساؤها أو مناصريها، علما أن غالبيتهم كانوا من أنصار الحزب الشيوعي المناهض لدول المحور، وللاحتلال الألماني بالتحديد؟ هل شكلت معركة التحرر الكبرى وأصداء تحرير باريس غطاء على

15. Ihrāi-Aouchar, "La presse marocaine," 160.

الحدث الذي هم المغرب وربما الهامش، خاصة أن مدنا فرنسية، وفي مقدمتها باريس، كانت قد عرفت احتجاجات مماثلة في مناسبات سابقة وأخرى لاحقة؟

يجب التذكير بأن تاريخ 14 يوليوز 1944 عرف تنظيم مظاهرة في ذكرى الثورة الفرنسية شاركت فيها الكثير من النساء؛ وقد كانت هذه المظاهرة من تنظيم أعداء الجنرال ديغول، وجرت قرب الكاتدرائية بالرباط.¹⁶ لكن زمن الحرب المؤطر بالعبارات والمفاهيم الدالة، مثل الهزيمة والنصر أو المقاومة والخيانة، لم يكن ليترك مكانا للاحتجاج في ظل منطق الثنائيات. وربما كان من الأفضل اللجوء إلى إسكات صوت الاحتجاج الذي قد يسهل إدراجه بسهولة في إطار الخيانة والتآمر، لاسيما أن هذا الصوت قادم من الخارج، ومن بلد عرف تنظيم مؤتمر أنفا سنة 1943، وشكل قاعدة خلفية إلى جانب الجزائر وتونس للحركة الديگولية وللمقاومة. بل أكثر من هذا، إن المغرب شكل قاعدة للحزب الشيوعي وخزانا للجنود الذين أبلوا البلاء الحسن في جبهات القتال.

وفي محاولة لحل هذا اللغز، كان لزاما اللجوء إلى البحث في أصول الصمت؛ أي إلى قنوات الحكم والتنسيق التي كانت تدبر القضايا السياسية في المغرب والمستعمرات. إن العثور على مراسلات وتقارير كان أطرافها الجنرالات الثلاث (ديگول، كاترو وبيو) هو الحل للتمكن من تتبع خيوط الأحداث، ورصد دواعي التكتم.

أصداء من المسكوت عنه في الأرشيف السري

يتعلق الأمر بمراسلات وتقارير نقلها المقيم العام گابرييل بيو إلى قائد القوات العسكرية بشمال إفريقيا، الجنرال جورج كاترو الذي كان ينقلها هو الآخر إلى الجنرال ديگول أو إلى وزير الخارجية الفرنسي جورج بيدو، وقد استمرت زمنيا من 10 نونبر إلى حدود 10 دجنبر من سنة 1944. هذا فضلا عن تقرير اللواء سبيلمان المرفوع إلى الجنرال كاترو، وعن أخبار صدرت عن الصحافة والنقابات على الرغم من قتلها.

وتضمنت هذه التقارير أخبارا عن احتجاجات النساء وعن ضلوع الحزب الشيوعي والمهاجرين الإسبان في تأجيج الوضع مع إشارات إلى حجمها وتداعياتها. كما تشير التقارير إلى الجنسيات المختلفة للنساء المشاركات، ومن بينهن إسبانيات، وفرنسيات، ومغربيات مسلمات ويهوديات، وجزائريات. غير أن حدث الاحتجاج قد تم تقديمه بأنه جاء ضد مجرى الأحداث، أو أنه تزامن مع حدثين؛ يتمثل الأول في تدشين السلطان محمد بن يوسف رفقة المقيم العام بيو في 3 نونبر 1944 لسد إقفوت مع تعداد إيجابياته على الأراضي الفلاحية

16. Taillard, *Le nationalisme marocain*, 147.

التي هي في ملك القبائل. كما لم ينس التقرير الذي أرسله الجنرال كاترو للجنرال ديغول الإشارة إلى المسافة التي أصبحت تفصل السلطان عن حزب الاستقلال، علماً أن الحدث جاء شهوراً بعد تقديم وثيقة الاستقلال، وهذا الادعاء الفرنسي من قبل الجنرال كاترو، كان يهدف إلى القول إن فرنسا بنهجها لسياسة السدود ستنجح في تقويض الحركة الوطنية وحزب الاستقلال قوتها الضاربة. كما تجدر الإشارة إلى أن بناء السدود وتدشينها كان يهدف أيضاً إلى وضع "سد سياسي" منيع أمام أي محاولة لاستعادة الحركة الوطنية نشاطها السياسي بالبوادي، إذ اعتبرته سلطات الحماية ظاهرة مقصورة على المدن. أما الحدث الثاني، فيتمثل في تدشين زنقة 18 يونيو 1940 تخليداً لذكرى خطاب الجنرال ديغول من لندن الذي أعلن فيه استئناف المقاومة ضد قوات الاحتلال النازية. لقد تم هذا التدشين يوم 3 نونبر، أي قبل ذهاب كاترو رفقة السلطان والجنرال بيو في طريقهما إلى تدشين سد إمفوت، وكذلك قبل انطلاق المظاهرات النسائية بالدار البيضاء. وقد ذكّر الجنرال كاترو في التقرير نفسه بزيارته لفاس، وأثنى فيه على السلطات والنخب التي أسهمت في استتباب الأمن والهدوء بعد الأحداث الدامية التي شهدتها المدينة جراء احتجاجات يناير 1944.

إن المثير في هذه المراسلات هو نص الخطاب الذي ألقاه الجنرال كاترو يوم 3 نونبر بمناسبة تدشين زنقة 18 يونيو 1940 تخليداً لذكرى خطاب لندن وإعلان المغرب منطقة تدين بالولاء للحكومة المؤقتة برئاسة الجنرال ديغول؛ فقد أرسل الجنرال كاترو بتاريخ 7 نونبر 1944، انطلاقاً من الجزائر العاصمة، نص الخطاب إلى الجنرال ديغول كدليل وعربون على الولاء والصداقة بينهما. وقد شدد الجنرال كاترو فيه على الطبيعة الروحية التي يمكن أن تحدد مستقبل فرنسا، خاصة بعد مقارنته بين النشيد الوطني الفرنسي، رمز الثورة والحرية، ومضامين خطاب لندن الداعي إلى الحرية والانعقاد من الاحتلال الألماني، ليخلص في الأخير إلى ضرورة المقابلة بين تواريخ 14 يوليوز 1789 تاريخ الثورة الفرنسية، و18 يونيو 1940 تاريخ الخطاب التاريخي للجنرال ديغول انطلاقاً من لندن معلناً ضرورة انطلاق شرارة مقاومة قوى الاحتلال لفرنسا.

وتأتي مراسلات الجنرال كاترو الموجهة إلى الجنرال ديغول لتوضح مدى التعاون الوثيق الحاصل بينهما منذ أن سحب ديغول الزعامة من الجنرال جيرو، المدعوم من الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا التي كانت ترى في الجنرال ديغول شخصية قوية من الممكن أن تعارض كل هيمنة أمريكية على فرنسا.¹⁷ لقد حاول المقيم العام بيو أن يقنع الجنرالين بأن أزمة التموين اختلقت من قبل الأمريكان لضرب مخططات الجنرال ديغول،

17. Max Gallo, *De Gaulle, la solitude du combattant (1940-1946)* (Paris: Robert Laffont, 1998), 250-1.

علما أن التقارير التي أرسلها هذا الأخير تكشف مدى تورط الحزب الشيوعي بالمغرب في إشعال فتيل الاحتجاجات.

شكلت القوة الشيوعية الداعمة لفرنسا أحد أهم الأسباب التي أدت إلى سيادة الصمت المطبق الذي خيم على الحدث، بالنظر إلى الدور الكبير الذي أداه الحزب الشيوعي الفرنسي في المقاومة المسلحة داخل فرنسا وخارجها، كما أن دور المقيم العام غابرييل بيو في إسكات الأصوات كان كبيرا باعتبار أن الاحتجاجات النسائية قد كان من ورائها رجال الحزب الشيوعي الذين لم يتوانوا عن انتقاد سياساته، وبخاصة مستشاريه الذين اعتبرتهم المعارضة من أنصار أو من بقايا حكومة فيشي. ومن هذا المنطلق، يمكن القول إن مناسبة تدشين سد إمفوت جاءت لوقف المد الوطني، والعمل على تحجيم المعارضة الداخلية لحكم المقيم بيو. لقد حرر هذا الأخير مراسلة في يوم انطلاق الاحتجاجات نفسه، يقول فيها إن ندرة مادة السكر كانت سببا في خروج العديد من النساء؛ أغلبهن من الإسبانيات والمغربيات، وعدد قليل من الفرنسيات. كما أشار فيها إلى أن المظاهرات تسببت في صدمات عنيفة وشغب داخل مصالح البلدية، وذكر فيها أنه أعطى أوامره لفتح تحقيق لتحديد المسؤوليات، ووضع مدينة الدار البيضاء تحت مراقبة القوات العسكرية. وقد أنهى المقيم العام مراسلته إلى الجنرال كاترو المقيم حينئذ بالجزائر، بالإشارة إلى أنه لم يتوان في التحذير من نقص مادة السكر قبل خروج المظاهرات، وحاول التملص فيه من مسؤولياته أمام احتمال تفاقم الأزمة الاجتماعية والغذائية. وفي يوم 11 نونبر، وهو اللاحق ليوم التدشين، راسل الجنرال كاترو ليمدهم بأعداد المتظاهرات وأسماء المتسبين أو المتسبات في اندلاعها. وقد أضاف إلى صفوف المتظاهرات كلا من النساء الإيطاليات واليهوديات وأيضا الجزائريات، مع التأكيد على أن نسبة الفرنسيات لم تتجاوز 25 بالمائة. أما المسؤوليات عن الأحداث، فقد حملها للجان عاملات البيوت إلى جريدة لييراسيون وجريدة اتحاد النساء المغربيات بتأطير من الحزب الشيوعي.

حاول المقيم العام، وهو الواقع تحت تأثير تدشين سد إمفوت، القول إن تظاهرات النساء الأجنبية (حسب تعبيره) تمثل تهديدا للوجود الفرنسي بالمغرب، وفي الوقت ذاته طمأن الجنرال كاترو بالتزام القبائل المغربية بالسلم والأمن في البوادي؛ إذ كانت فرنسا تراهن على الفصل بين البوادي وبين المدن حتى لا تنتشر عدوى الاحتجاج فيها. وقد ذكر بمراسلته السابقة، المؤرخة في 20 أكتوبر، التي حذر فيها من الأزمة الاقتصادية ومن مشاكل التموين المحتملة، وأنها بالتشديد على ضرورة تخصيص مواد التموين للمغاربة وحدهم، وهو الأمر الذي يمكن أن يفسر بأن وضعية المغاربة كانت أكثر سوءاً. كما أرسل

تقريرا يوم 19 نونبر حول تظاهرة وقعت بالرباط شاركت فيها 400 امرأة من خادمت البيوت و700 من المتابعين، وانتهت سلمية، مع تسجيل حادث تدخل الأمن لسحب لافتة مكتوبة بالإسبانية لم يحدد المقيم العام بيو فحواها. لكن المتظاهرات شجبن كل المشبهين والمتورطين في التلاعب بالأسعار وفي إعادة بيع مواد التموين في السوق السوداء.

لم تسكت الصحافة عن هذا الأمر، إذ نقلت محاكمة بعض المتلاعبين وبعض تجار السوق السوداء الذين قدموا كأكباش فداء، وصدرت في حقهم أحكام قاسية من أجل تهدئة الأوضاع. لقد تحدث المقيم العام في برقية مؤرخة بتاريخ 26 نونبر 1944 عن عدم توقيف أي شخص على خلفية وقوع الاحتجاجات؛ مما يعني أن سلطات الحماية لم تكن في موقع قوة، بل حاولت ألا تعطي للحدث بعدا سياسيا كبيرا عبر تكثيف المراقبة والتوقيف في صفوف المتظاهرين. كما تحدث عن اجتماعات فدرالية "فرنسا المكافحة" في كل المدن المغربية باستثناء مدينة الدار البيضاء التي منع فيها الجنرال كورني (Cornut) أي تجمع خوفا من خروج المحتجين للشارع العام.

يكفي أن نقول إن الاحتجاجات التي انطلقت يوم 10 نونبر تزامنت مع ذكرى الإنزال الأمريكي، ومع مناسبة تدشين سد إمفوت، إلا أن التأويلات السياسية التي أعطيت لها كانت مرهونة بأهداف سياسية وإيديولوجية معروفة. وعلى الرغم من الشعبية الكبيرة التي أصبحت للأمريكيين، فإن الحزب الشيوعي لم يتردد في شجب سلوكات الجنود الأمريكيين تجاه النساء المغربيات، وتجاه الهيمنة الأمريكية التي تجسدت في إقامة القواعد العسكرية الأمريكية بكل من النواصر وبوقنادل والقنيطرة؛¹⁸ وهذا ما ألح إليه المغني المغربي الحسين السلاوي في أغنيته الشهيرة "الماريكان". كما أن الصوت المغربي كان أشد ارتباطا بالإذاعات التي تصدح عبر الأثير انطلاقا من القاهرة ولندن وبرلين مجسدة التوجهات العروبية والليبرالية والمتطرفة.

كما حرر الجنرال سبيلمان في هذا الشأن - وهو المتخصص في الشؤون العسكرية والدينية والسياسية، (كان لواءا خلال هذه الأحداث)، وشغل منصب مدير ديوان بالجزائر العاصمة -، تقريرا سياسيا رفعه إلى رئيسه الجنرال كاترو بتاريخ 17 نونبر 1944.

ويقدم تقرير سبيلمان أمرا غاية في الأهمية، ومفاده أن مظاهرات النساء كانت موجهة من قِبَل حلفاء الجنرال ديغول، أي الشيوعيين الذي صنفهم في الوقت ذاته كمنافسين له. ويركز اللواء سبيلمان على مسألة قيام الحزب الشيوعي بمناورة للضغط على الحكومة المؤقتة

18. Taillard, *Le nationalisme marocain*, 150-1.

انطلاقاً من المغرب، وتحديدًا بتأطيره الخفي للمظاهرات، إذ أنها كانت تستهدف إقالة المقيم العام بيو. كما قارن بين الوضعية الاقتصادية والاجتماعية في الجزائر والمغرب ليؤكد بأنها كانت أفضل بكثير في المغرب، خاصة على مستوى التموين.¹⁹ ولكن تقرير سبيلمان اعتبر أن المظاهرات كانت مصطنعة ومفبركة على يد بعض الأجانب الإيطاليين والإسبان ممن كانوا بالأمس القريب ضمن الفاشيين، ليتحولوا بقدرة قادر إلى جمهوريين. وما يمكن استخلاصه بشكل عام، أن تقارير المقيم العام بيو واللواء سبيلمان كانت تصب مباشرة في اتجاه المصلحة العليا للحكومة المؤقتة برئاسة الجنرال ديغول، وتحاول التأكيد على المناورة والتدليس من قبل مناصري الحزب الشيوعي والمنظمة المعروفة باسم: "فرنسا المكافحة France Combattante".²⁰

بل يعتبر تقرير سبيلمان أن المظاهرات تمثل تنقيصاً من العمل الحكومي وتحقيراً لفرنسا في نظر الحلفاء ومعهم المغاربة أيضاً الذين يمكنهم معاينة ضعف الدولة الحامية للقيام باستغلالها حسب تعبيره. ومع ذلك، فإن أصواتاً عديدة قد ارتفعت لتقول بأن ظروف الحرب لا يمكن أن تفسح المجال للانتقادات والتشردم؛ وبالتالي وجب توحيد الصفوف والصمت حتى لو تعلق الأمر بنساء وأطفال يطالبون بتمكينهم من مستويات الحد الأدنى من الغذاء والكرامة. ونذكر من بين هذه الأصوات "التنظيم المحلي للنقابات بمراكش"، وفي مقدمته ألبير مادوف، الذي راسل وزير الخارجية الفرنسي جورج بيدو (Georges Bidault) مستنكراً التقرير الذي قدمه المقيم العام حول الأحداث، واعتبر بأن قرار إخضاع الدار البيضاء لحكم العسكر غير مناسب لمظاهرات نسائية تطالب بالتموين وبالعدالة. كما طالب بفتح تحقيق في تفاصيل الأحداث التي نجمت عن هذه المظاهرات، وخاصة ما يتعلق منها بتعنيف أعوان وموظفين في مصالح البلدية.²¹

الاحتجاجات النسائية وزيارة الجنرال ديغول لموسكو

لماذا تزامنت الزيارة التي قام بها الجنرال ديغول لموسكو، ولقاؤه بالزعيم ستالين، مع نهاية الاحتجاجات النسائية بالمغرب في 24 نونبر 1944؟ لماذا استمرت الاجتماعات النقابية حول موضوع التموين وغلاء المعيشة التي انعقدت أثناء تواجد الجنرال ديغول بموسكو؟ وعلى الرغم من سفر الجنرال في اتجاه موسكو بتاريخ 24 نونبر، فإنه لم يصلها إلا في يوم 2 دجنبر 1944، أي بعد محطات سابقة قادت به إلى إيران ودول أخرى.

19. للمقارنة بين الوضع في المستعمرات وفرنسا أو أوروبا، انظر:

Emmanuel Le Roy-Ladurie, "L'aménorrhée de famine (XVII^e-XX^e siècles)," *Annales*, ESC (1969): 1589-1601.

20. Archives La Courneuve, "Maroc 1944-1955," Carton 73.

21. Archives La Courneuve, "Maroc 1944-1955," Carton 73.

ألا ينم هذا التوقف المقصود عن فرصة منحها الحزب الشيوعي الفرنسي من أجل إنجاح الزيارة وتوثيق الروابط مع الاتحاد السوفياتي؟ ثم ماذا عن زعيم الحزب الشيوعي الفرنسي موريس ثوريز (Maurice Thorez) الذي كان لاجئاً بموسكو، و ينتظر إصدار قانون العفو في حقه من قبل الجنرال ديغول، بعدما أصدرت حكومة فيشي²² حكم الاعداد في حقه؟ فهل كان الصمت حول حركة الاحتجاج مقدمة لتحالف مستقبلي بين الجنرال ديغول والحزب الشيوعي الفرنسي؟ لقد أصدر المقيم العام بيو آخر تقرير له حول الاجتماعات النقابية إلى وزير الخارجية وكذا الجنرال كاترو بتاريخ 10 دجنبر 1944 للتمكن من طمأنة رؤسائه بخصوص الوضع الذي كان تحت السيطرة، وللتأكيد على تناقص أعداد المشاركين في الاجتماعات عبر مختلف المدن المغربية. إن قراءة في المبيان الذي أرسله المقيم العام بتاريخ 10 دجنبر يتناقض مع ما ذكره في تقاريره الأولى؛ ذلك أن عدد الفرنسيين المشاركين في آخر مظاهرة بتاريخ 26 نونبر كان هو 100.000 بمدينة الدار البيضاء وحدها، كما أن مدنا جديدة صنفت كأماكن للاحتجاج؛ كما هو الحال مع مدينتي سطات ووزان. كما يسجل التقرير الانخفاض الكبير للحاضرين في الاجتماعات وكثرة المشاركين في المظاهرات خاصة بمدن الدار البيضاء والرباط ومراكش ومكناس. كما كشفت تقارير المقيم العام عن أن المعركة لم تعد مقتصرة على النساء والدعم الغذائي، بل أصبحت قضية نضال يتعلق بحق المغاربة في تأسيس نقابات خاصة بهم، ورفع المنع عن الجرائد التي تدافع عن حقوقهم مثل جريدة الحرية وجريدة المساواة الصادرتين عن الحزب الشيوعي المغربي. كما تدل الوثائق المرفقة بالتقرير عن إرسال لجنة من المجلس الوطني الثوري للتحقيق في التجاوزات خاصة تلك التي قام بها بونيفاس أو المرتبطة منها بالتلاعب في أسعار المواد الغذائية.²³

ما بين الدور الأمريكي والروسي

هل يمكن أن نفسر السكوت عن المظاهرات بأنه إسكات لأي دعاية يمكن أن تصب لصالح الولايات المتحدة الأمريكية التي أصبحت حاضرة في أعمدة الصحافة المغربية، وخاصة المعارضة منها منذ نونبر من سنة 1942.²⁴ كما أن الدعاية السياسية للمغرب كانت تقارن بين الوضعية السياسية بالمغرب وبين الوضعية في سوريا ولبنان الخاضعتين أيضا لفرنسا.

لقد حدث هذا في زمن بدأت فيه أواصر التضامن بين المغرب وبلدان المشرق تتقوى في ظل الظروف التي أحاطت بالحرب. وتحدث الجنرال كاترو، - كان يشغل منصب وزير

22. Gallo, *De Gaulle*, 399.

23. Archives de la Courneuve, "Maroc 1944-1955," Carton 73.

24. Ihrāi-Aouchar, "La presse marocaine," 175-8.

مفوض في حكومة أفريقيا الشمالية - عن هذا الموضوع حين راسل الجنرال ديغول الذي انتقل إلى العاصمة باريس بعد تحريرها. ومعنى هذا الأمر أن الدعاية المغربية للحركة الوطنية كانت تسعى إلى تدويل القضية المغربية، بينما أصرت فرنسا على أن تجعل منها مجرد قضية داخلية. من هنا يمكن القول إن إسكات أصوات النساء كان يهدف إسكات أصوات الرجال أيضا وكل فعاليات المجتمع برمته. ويمكن أن نشير في هذا السياق إلى أن الصحافة لم تعلق، مثلا، على لقاء السلطان محمد بن يوسف والرئيس الأمريكي روزفلت في يونيو 1943، ذلك اللقاء الذي أغنى شخصية السلطان وأثراها ببعث سياسي غير مسبوق على المستويين الإقليمي والدولي. لكن الصحافة الصادرة في الشمال، وخاصة جريدة حزب الوحدة الوطنية بزعامة المكّي الناصري، كانت تتساءل عن مصير المسلمين بعدما حرر روزفلت فرنسا من النازية واليهود من قوانين حكومة فيشي.²⁵ ويجب أن لا ننسى بأن دعاية الحركة الوطنية كانت تؤكد بأن زيارة الجنرال ديغول لواشنطن ستتوج باعتراف فرنسا باستقلال المغرب.²⁶

وتجدر الإشارة إلى أن جريدة الأمل للحزب الشيوعي كانت قد أخذت في الدعاية لمشروع الوحدة المغاربية.²⁷ وفي المقابل كانت الصحافة المغربية بالمنطقة الاسبانية تندد بالمؤامرات السوفياتية في آسيا وإفريقيا. ومع ذلك، استمرت الصحافة الشيوعية وحزب الاستقلال في ركوب موجة السخط التي كانت تعم المدن والبادي، نتيجة لارتفاع الأسعار أو قلة المواد في الأسواق، خاصة مع بداية مغربة الحزب الشيوعي وتزعمه من قبل علي يعته الذي سيخلف ليون سلطان على رأس الحزب الشيوعي بالمغرب.²⁸ ويمكن القول بأن القضايا النضالية والعمالية لم تكن تمثل، قبل سنة 1945، الهاجس الرئيس للصحافة بما فيها جريدة الأمل للحزب الشيوعي. كما أن الحركة النقابية المغربية لم ترَ النور بصفة مستقلة إلا في مارس من سنة 1955، حيث ظلت الشغيلة المغربية منخرطة في نقابة الحزب الشيوعي، وفي الاتحاد العام للنقابات الفدرالية المستقلة. وقد تعرض أيضا بيير ماص (Pierre Mas)، الذي كان يصدر معظم الصحف الناطقة بالفرنسية، إلى ضغوطات كبيرة؛ ذلك أنه ظل صامتا عن قضايا الضعفاء والنساء، بل إن هناك من اتهمه بمساندته لحكومة فيشي المقربة من النظام النازي.²⁹

25. Ibid., 176.

26. Taillard, *Le nationalisme marocain*, 14; 117.

27. Ibraï-Aouchar, "La presse marocaine," 180 .

28. Ibid., 188; 203.

29. Taillard, *Le nationalisme marocain*, 159.

وفي الأخير، يمكن القول إن مسألة إسكات الاحتجاجات النسائية بالمغرب كان الهدف منه إضعاف صوت الحزب الشيوعي المغربي المناصر للنساء، وأيضاً لحقوق كافة المغاربة. ولكنه كان في الوقت ذاته يلعب هذه الورقة للضغط على الجنرال ديغول بغية تحقيق أهداف سياسية تهم الحزب ومناصريه بفرنسا. كما أن احتجاجات النساء جاءت قبيل صحوحة الحركة الوطنية التي نالها الاضطهاد والقمع في يناير 1944، وكذا تزايد التوجس الفرنسي من التقارب الذي حصل بين السلطان محمد بن يوسف والأمريكيين كما تدل على ذلك تقارير المقيم العام مع بداية سنة 1945. وقد تجسدت في هذه التقارير بداية تشكل قناعة لدى سلطات الحماية يستشف منها أن السلطان محمد بن يوسف قد جدد تحالفه مع الحركة الوطنية، وبأنه أصبح أكثر إيماناً واقتناعاً بأهمية فكرة المطالبة بالاستقلال.

خاتمة

يمكن القول إن الصمت المطبق الذي لف صراخ النساء المحتجات كانت تتحكم فيه ظروف وطنية مرتبطة بالتحالف بين السلطان والحركة الوطنية التي تزعمها حزب الاستقلال؛ حيث أن تدشين سد إمفوت الذي كان يهدف إلى سقي 100 ألف هكتار كانت الغاية منه إفشال هذا التحالف. ولهذا الأمر، فإننا نميل إلى اعتبار تدشين المقيم العام والسلطان محمد بن يوسف لهذا السد، بمثابة رسالة مشفرة من الأول إلى الثاني، مفادها أن فرنسا التي استعادت باريس، ومناطق عدة في فرنسا في وسعها أن تقدم الكثير للمغرب لتمكينه من استعادة هيئته المفقودة. لكن نهاية سنة 1944 عرفت بداية لحركة التحالف بين بعض الباشوات والقواد ورجالات الحركة الوطنية، خاصة بعد استقالة محمد بن العربي العلوي من منصب وزير العدل، وإقالة أحمد بركاش، باشا مدينة الرباط، وخليفته. كما دفعت الظروف الدولية بالجنرالين ديغول وكاترو إلى خنق صوت الاحتجاجات حتى لا تضاعف من الدور الأمريكي بالمغرب، وحتى لا تتقوى أواصر العلاقة بين المغاربة والأمريكان، تلك العلاقة التي لم تكن لتنال إعجاب الجنرال ديغول. وهذا ما يعني بأن الوجود الأمريكي بالمغرب كان يشكل تهديدا ليس فقط لمستقبل الحركة الديكولية بشمال إفريقيا، وإنما أيضاً لمستقبل فرنسا في المنطقة. وينضاف إلى كل هذا مناورات الحزب الشيوعي بالمغرب (المغربي بعد ذلك) التي سعت إلى اتباع سياسة تنسيقية بين الشعبين الفرنسي والمغربي لتحقيق التحرر والتمكن من مواجهة كل أشكال الاستغلال والاضطهاد. وهذا في الوقت الذي كان الزعيم الجنرال ديغول يسعى أيضاً إلى تخليص السلطان محمد بن يوسف من مجرة النفوذ الأمريكي. ولتحقيق هذا الهدف، شرعت فرنسا مع نهاية احتجاجات النساء في تبني مشروع الإصلاحات خاصة ما يهم منها الجوانب الاجتماعية والاقتصادية. ويتعلق

الأمر بالمشروع الذي تحدث المقيم العام جورج بيو عن خطوطه العريضة في خطابه يوم 26 نونبر 1944. لكن هذا المشروع الإصلاحى لا يمكن أن يخفى مشروعاً سياسياً مهماً يتمثل في اقتفاء الحركة الوطنية المغربية أثر الحركة الديغولية في اتجاه المطالبة بالاستقلال والكرامة. ومن هنا يمكن القول إن أصوات الاحتجاجات النسائية قد تناثرت بين عباب قطارين، وهما قطار الحركة الديغولية وقطار الحركة الوطنية.

وفي الختام يمكن للقارئ أن يلاحظ بأننا اقتصرنا في عرضنا على ما تم رفعه إلى الجنرال ديغول من تقارير دون التمكن بتاتا من سماع صوته؛ وهو الذي، حاول أن يجعل من شخصه صورة لفرنسا وللوطن [توضيح المقصود بالوطن] من خلال مقولته الشهيرة: (السيادة والكرامة تجسدان فرنسا).³⁰ فإذا كانت احتجاجات النساء قد جسدت الكرامة، فإنها قد أحلت في نظر الجنرالات الثلاثة بمبدأ السيادة. ذلك أن الجنرال ديغول الذي كان يحاول أن يضغط على الرئيس الأمريكى روزفلت للاعتراف بالحكومة المؤقتة، لم يكن في الوقت ذاته يرغب في أن تصل أصوات احتجاجات نساء الدار البيضاء إلى مسامع أمريكا.³¹ ولسماع صوت الجنرال ديغول يمكن أن نكتفي بمقتطف من قصيدة أهداها له الشاعر والكاتب بول كلوديل، قال فيها:

ويجيب الجنرال: أيتها المرأة؛ اصمتي! ولا تطلبي سوى ما أستطيع أن أعطيه لك.
”ماذا أحضرته لي يا بني؟“

ويرد الجنرال رافع ذراعه:

”إنها الإرادة!“

“...Et le général répond, Femme; tais-toi! Et ne demande pas autre chose que ce que je suis capable de t’apporter. “Que m’apportes-tu donc, ô mon fils?”

“Et le général, levant le bras, répond:

“La volonté!”³²

ولمزيد من المعلومات حول العلاقة بين الجنرال ديغول والحركة النسائية يجب انتظار نهاية تحرر فرنسا ودخولها في مرحلة إعادة البناء؛ بل إن مواقف الجنرال ديغول قد أصبحت أكثر وضوحاً بعد المخاض السابق واللاحق لأزمة سنة 1968.³³

30. Voir Gallo, *De Gaulle*, 425.

31. Jean Lacouture, *De Gaulle, II- Le Politique 1944-1959* (Paris: Editions du Seuil, 1989), 85.

32. Gallo, *De Gaulle*, 403.

33. Michèle Riot-Sarcey, “De la libération des femmes au féminisme en devenir,” 95-106, in Michèle Riot-Sarcey, *Histoire du féminisme*, 128 (Paris: La Découverte, 2015).

Bibliographie

- Ajbābdi, Laṭīfa. "Al-ħaraka al-nisā'iyya al-magħribiyya." *Le journal 8 Mars* 16 (1985). Archives La Courneuve, Maroc 1944-1955, Carton 73.
- Benadada, Assia. "L'enseignement des femmes à l'époque coloniale: Intégration ou exclusion." In *Histoire des femmes au Maghreb: Réponses à l'exclusion: Colloques et Séminaires n° 4*, Assia Benadada (éds), 197-231. Casablanca: Publications de la Faculté des Lettres, Kenitra, 1999.
- Al-Dafalī, Mohammed Ma'rūf. "Akhawāt aš-Şafa: tandhīm nisā'ī rā'id fī tārikh al-ħaraka al-waṭaniyya." *Majalat Amal*, 13/14 (1998): 178-92.
- Fīlalī Baba, Jawhara., Al-Fāssi, Malika. "Al-ħaraka al-waṭaniyya wa al-mar'a." In *Manshūrat mandūbiyat al-muqāwama wa a'ḏā' jaysh al-tahrīr*. Rabat, 2005: 451-7.
- Gallo, Maw. *De Gaulle, la solitude du combattant*. Paris: Robert Laffont, 1998.
- Ihraī-Aouchar, Amina. "La presse marocaine d'opposition au Protectorat (1933-1956)." Thèse de 3^{ème} Cycle, Université Toulouse-Le Mirail, 1979.
- Lacouture, J. *De Gaulle, II- Le Politique 1944-1959*. Paris: Editions du Seuil, 1989.
- Lamrīnī, 'Abdelhaq. *Al-shahīda Thurīya al-Shāwi, awwal tayyāra bi al-Magħrib al-Kabīr*. Casablanca: Annajah Al-Jadida, 2009.
- _____. "Al-mar'a al-Magħribiyya fī malħamat al-istiqlāl wa al-waħda." In *Manshūrat mandūbiyat al-muqāwama wa a'ḏā' jaysh al-tahrīr*: Salé: Editions Benni Yeznasen, 2002-2009.
- Le Roy-Ladurie, Emmanuel. "L'aménorrhée de famine (XVII^e-XX^e siècles)." In *Annales, ESC* (1969):1589-1601.
- Riot-Sarcey, Michèle. "De la libération des femmes au féminisme en devenir." In *Histoire du féminisme*, 128. Paris: La Découverte, 2015.
- Sa'udi, Thurīya. "Awḏā' al-ħaraka al-nisā'iyya bi al-Magħrib." Thèse de Doctorat en histoire. Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Rabat, 2017.
- Taillard, F. *Le nationalisme marocain*. Paris: Les éditions du cerf, 1947.
- Taraud, Christelle. *Amour Interdit, Marginalité, prostitution, Colonialisme au Maghreb, 1830-1962*. Paris: Payot, 2012.
- Tsourikoff, Zēnaïde. "L'enseignement des filles en Afrique du Nord." Thèse de Doctorat, Université de Paris, Faculté de Droit, 1935. Consulté sur le Site Gallica, BNF, le 1^{er} janvier 2020. URL: <https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bpt6k9803699w.r>
- Zbīṭa, Souad. "Al-mar'a al-magħāribiyya zaman al-'Isti'mār: Al-mawrūthāt wa al-mutagħayyirāt." Thèse de Doctorat en Histoire. Université Ibn Tofail, Kenitra, 2018.

العنوان: صمت الاحتجاج: الحركة الديكولية ومظاهرات نونبر 1944 بالمغرب

ملخص: تهدف هذه المقالة إلى الكشف عن معالم أحد أوجه النضال النسائي الذي تكتمت عليه سلطات الحماية ولم يحظ باهتمام المؤرخين المغاربة أو الأجانب. ذلك أن سلطات الحماية الفرنسية كانت منهمكة في محاولتها فك الارتباط بين الأحزاب والقصر عبر التمويه بنهجها لسياسة الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. ولكن نفس السلطات كانت محكومة في ظل الحرب العالمية الثانية بمواجهة خطر داخلي آخر يتمثل في تحالف العنصر النسوي الأوروبي والمغربي الذي احتج طيلة شهر نونبر 1944 بغية تحقيق جملة من المطالب. فما هي أشكال هذه الحركة الاحتجاجية ونتائجها؟ إذا كانت هذه المقالة تأخذ بعين الاعتبار مثل هذه التساؤلات فإنها تهدف بالخصوص إلى الإجابة عن سؤال مباشر يخص أسباب الصمت الذي أحاط باحتجاجات نسائية حاشدة عرفتها مدن المغرب، فكان منطلقها مدينة الدار البيضاء في 10 نونبر من سنة 1944 وهي الاحتجاجات التي استمرت عشرين يوماً بالرغم من استمرار تداعياتها إلى العاشر من دجنبر من السنة

نفسها. فكيف تحولت أصوات مسيرات ضمت عشرات الآلاف من المحتجات إلى صمت رهيب كشفت عنه تقارير سياسية سرية تم تداولها بين المقيم العام غاستون بيو وثلاثة جنرالات (الجنرال شارل كاترو، قائد القوات العسكرية بشمال إفريقيا، ومساعدته جورج سييلمان والجنرال ديغول)؟

الكلمات المفتاحية : حركة نسائية، حماية، الحرب العالمية الثانية، التموين، مظاهرات الدار البيضاء، الجنرال ديغول.

Titre: Le silence de la contestation: Le mouvement gaulliste et les manifestations de novembre 1944 au Maroc

Résumé: Cette étude vise à dévoiler un pan de la lutte féminine dont les échos ont été étouffés par les autorités coloniales et qui n'a pas été pris en considération par les chercheurs marocains ou étrangers. Alors que les autorités du Protectorat cherchaient à prévenir toute alliance entre le sultan et le mouvement national en feignant d'appliquer une politique de réformes, ces mêmes autorités furent contraintes de faire face à un mouvement de protestation de femmes marocaines et européennes lors de la deuxième guerre mondiale. Quels étaient les formes prises et les résultats réalisés par ce mouvement? Notre souci est d'expliquer les raisons du silence qui a entouré cet événement, pourtant signalé dans plusieurs villes du pays entre le 10 novembre et le mois de décembre 1944. Comment on a pu étouffer la voix de milliers de protestataires dont l'écho est resté confiné dans les rapports secrets échangés entre le Résident général Puaux et de grands généraux et futures figures de la libération de la France: Le général Catroux, le futur général Spillman et le général De Gaulle?

Mots-clés: Mouvement des femmes, Protectorat, Deuxième Guerre mondiale, Ravitaillement, Manifestations de Casablanca, Général De Gaulle.